أدب الطفل: مفاهيم وأهداف

د. ميلود شنوفي
جامعة البليدة 2

- ملخص المقال:

يرصد هذا المقال المفاهيم متعدّدة المصادر والاتجاهات لواحد من الأنساق التي تشكّل النسق العام المسمّى ثقافة الطفل، وهو أدب الطفل، وكذلك الأهداف المرجوة من الكتابة في هذا النسق لهذه الشريحة الحساسة من المجتمع بما هي نشاط إنساني يتّسم بالتعقيد أكثر من الكتابة للكبار، إذ إننا إزاء فئات عمرية لها خصوصياتها وحاجاتها ورغباتها الخاصّة، وعليه يفترض أن يكون لما يكتب للأطفال أهداف محدّدة يسعى إلى الوصول إليها، وقواعد مضبوطة يجب مراعاتها عند الكتابة، تضمن توصيل ما يريده الكبار للصغار ويرغبون في تزويدهم به، وما يميل إليه الصغار ممّا يتناسب مع قدراتهم العقلية وحاجاتهم النّفسية.

Summary:

Children's literature: concepts and objectives.

This article deals with the concepts that have multiple sources and directions of one of the formats that make up the general pattern called culture of the child which is children's literature, as well as the desired goals from writing in the manner of this sensitive class of the society, including the human activity is more than writing complex for adults as we are about the categories age has its specificity and its needs and desires own and he has to is supposed to be to write a children's specific objectives sought to be accessed and rules set must be considered when writing to ensure delivery of the adult for the young

And want to provide them with it, and what tends to kids want than commensurate with their abilities mental and psychological needs.

Key words: culture of the child, children's literature, to write children's specific objectives,

1-في مفهوم أدب الطّفل: **الكتابة للأطفال نشاط إنساني يتّسم بالتعقيد أكثر من الكتابة للكبار، إذ إنّنا إزاء فئة لها خصوصياتها، وحاجاتها، ورغباتها الخاصّة، وعليه، يفترض أن يكون لما يكتب للأطفال أهداف محدّدة يسعى إلى الوصول إليها، وقواعد مضبوطة تجب مراعاتها عند الكتابة، هي بالنهاية ما نسميه قواعد "الانقرائية"، أي جملة العوامل والشروط التي تسهّل عملية القراءة وبالتالي استيعاب ما يقرأ. والواضح أنّ اتّباع هذه القواعد لا ينتج عنه بالضرورة كتابة جميلة وهادفة، ذلك أننا نعتبر الكتابة فنّا أكثر مما نتصوّرها علما له قواعده وأصوله، مع ما لهذه القواعد والأصول من أهمية في تحقيق جزء أو بضعة أجزاء مما يريده الأطفال ويميلون إليه، وتبقى الأجزاء الأخرى مما يريده الكبار للصغار، ويضمنونه فيما يكتبون لهم مما يتناسب مع قدراتهم وحاجاتهم وما يرغبون في تزويدهم به، وهذا هو المعنى العام لما نسمّيه: أدب الطفل.**

فما مفاهيم أدب الطفل، أو أدبيات الطفولة التي دأب النقد الأدبي على صياغتها في هذا المجال؟

يعرّف أدب الطفل بأنّه « وسيط تربوي يتيح الفرص أمام الأطفال لمعرفة الإجابات عن استفساراتهم وأسئلتهم، ومحاولات الاستكشاف واستخدام الخيال، وتقبّل الخبرات الجديدة التي يرفدها أدب الأطفال، إنه يتيح الفرصة أمام الأطفال لتحقيق الثقة بالنفس وروح المخاطرة في مواصلة البحث والكشف وحب الاستطلاع، والدافع للإنجاز الذي يدفع إلى المخاطرة العلمية المحسوبة من أجل الاكتشاف، والتحرّر من الأساليب المعتادة للتفكير، والميل إلى البحث في الاتجاهات الجديدة، والإقدام نحو ما هو غير يقيني، وتفحّص البيئة بحثا عن الخبرات

الجديدة والمثابرة في الفحص والاستكشاف من أجل مزيد من المعرفة لنفسه وبيئته.»[1]

وجلّي أنّ هذا تعريف أو مفهوم "تعميمي" من جهة وقاصر من جهة أخرى، إذ إنّه منصبّ حول ما يمكن أن نعتبره أهدافا لأدب الأطفال أكثر ممّا هو تعريف لهذا الأدب، ثمّ كونه "وسيطا" على حدّ التعريف، يجعلنا نتساءل عن مهمّة هذا الوسيط وعن مضمون محتوى رسالة الوسيط الذي قد يكون ما نسميه أدب الطفل، وعليه فإنّه تعريف أقلّ إقناعا وغير دقيق وأكثر عمومية.

يقصد بأدب الأطفال «الأعمال الفنية التي تنتقل إلى الأطفال، عن طريق وسائل الاتصال المختلفة التي تشتمل على أفكار وأخيلة (الأعمال الفنية) وتعبّر عن أحاسيس ومشاعر تتّفق مع مستويات نموهم المختلفة.» [1] وها إننا أمام تعريف آخر يصيب الهدف من جانبين أو ثلاثة ويخطئه من جوانب كثيرة فهو، مثلا، لا يتحدّث عن معايير هذا الأدب، ولا عن أهدافه، ولا عن لغته وطرق صياغته، ولا عمن يكتبه، فهل يجوز أن نعتبر أدبا للطفل كلّ عمل مشتمل على أفكار وأخيلة ويصل إلى الأطفال عن طريق وسائل الاتصال المختلفة؟

أدب الطفل هو «الإبداع الأدبي الموجّه للطفولة بمراحلها، خاصة في سنّ ما قبل المدرسة إلى نهاية سن الطفولة المتأخرة، والأشكال التعبيرية المنظومة والمنثورة من فنون الأدب، بحيث يجب ألا يسبح خارج دائرة الأدب إلى الإنتاج الفكري العام. وعليه فإنّ محاولة بعض الكتاب المحدثين إقحام النتاج المعرفي (تاريخي أو ثقافي أو علمي) في أدبيات الطفولة يعدّ هدما للمفهوم اللّغوي والاصطلاحي لأدب الطفل.» [3] وربّما كان في ذلك تأسيسا لمفهوم أشمل هو ثقافة الطفل.

أدب الطفل نوع من أنواع الأدب، سواء العام أم الخاص... فهو بمعناه العام يعني الإنتاج العقلي المدون في كتب موجهة لهؤلاء الأطفال في شتّى فروع المعرفة، أمّا أدب الطفل الخاص، فهو يعني الكلام الجيّد الذي يحدث في نفوس هؤلاء الأطفال متعة فنية، سواء أكان نثرا أم شعرا، وسواء أكان شفويا بالكلام، أم تحريريا بالكتابة، ولذلك.. فالكتب المدرسية تدخل ضمن أدب الطفل بمعناه العام، حيث إنّها إنتاج عقلي مدوّن في كتب موجّهة للأطفال، ولذلك فلا بدّ للكتب المدرسية الناجحة أن تراعي هي أيضا خصائص الأطفال وقدراتهم، واهتماماتهم فيما تقدم لهم من مواد دراسية[4].

يمكن حصر أدب الطفل العربي في دائرتين: دائر الشعر التي تتضمّن الأمهودات وأغاني الترقيص واللّعب وأراجيز الألغاز والأناشيد والدراما الشعرية المبسّطة، ودائرة النثر وتضمّ: الحكايات القصصية المتنوعة، والحكاية الخرافية على ألسنة الحيوان والطير، والأمثال والأحاجي اللّغوية التي يكتبها الكبار للصغار، في ضوء مراحلهم العمرية وخصائصهم النمائية [5].

ورغم ما في هذا التعريف من تحديد للأشكال وأنواع الأشكال المناسبة للطفل، وإشارة إلى المراحل العمرية وخصائص النمو، إلاّ أنّ التعريف لا يكتمل إلاّ بتعريف آخر يقول: « إنّ أدب الطفل هو نوع أدبي متجدّد في أدب أي لغة، وفي أدب لغتنا هو ذلك النوع المستحدث من جنس أدب الكبار(شعره ونثره وإرثه الشفاهي والمكتوب) فهو نوع أخصّ من جنس أعمّ يتوجه لمراحل الطفولة... بحيث يرقى المؤلف بلغة الأطفال وخيالاتهم ومعارفهم واندماجهم في الحياة، مع مراعاة الخصائص النمائية وتحقيق الأهداف (الوظائف) التربوية والأخلاقية والفنية والجمالية والترويحية فيما يقدّم للأطفال من نصوص الأنواع الأدبية»[6]

وفي مفهوم آخر يلتفت أكثر إلى عنصر اللّغة وجمالياتها نجد أنّ أدب الطفل «خبرة لغوية في شكل فن يبدعه الفنان خاصة للأطفال فيما بين الثانية، والثانية عشر أو أكثر بقليل، يعيشون ويتفاعلون معه فيمنحهم المتعة والتسلية، ويدخل على قلوبهم البهجة والمرح وينمّي فيهم الإحساس بالجمال وتذوّقه ويقوّي تقديرهم للخير ومحبته، ويطلق العنان لخيالاتهم وطاقاتهم الإبداعية ويبني فيهم الإنسان» [7]

وهذا يعني أنّ أدب الطفل «شكل من أشكال التعبير الأدبي له قواعده ومناهجه، سواء منها ما يتّصل بلغته وتوافقها مع قاموس الطفل ومع الحصيلة الأسلوبية للسنّ

التي يؤلف لها، أو ما يتّصل بمضمونه ومناسبته لكلّ مرحلة من مراحل الطفولة، أو ما يتصل بقضايا الذوق وطرائق صوغ القصة، أو في فن الحكاية للقصة المسموعة.» [8]

وهكذا لا نكاد نعثر في كلّ هذه التحديدات على مفهوم شامل بالدّقة اللازمة لأدب الطفل، مع أنّها كلّها مفاهيم صحيحة، وما يؤخذ عليها، يؤخذ في الحقيقة على الذين قالوا بها انطلاقا من نظرة كلّ واحد للموضوع من جانب رآه الأهمّ في الموضوع، والنظر إلى الشيء من زاوية ما، يظلّ نظرا من زاوية ما، لا يمكن أن نبني عليه أحكاما مطلقة ولا مفهوما شاملا، وفي اعتقادنا أنّ نسبية هذه المفاهيم ناجمة عن جدّة المصطلح في حدّ ذاته، فلا الأدب العربي، ولا حتى الآداب الأجنبية عرفت أدب الطفل بالشكل والاصطلاح الكاملين، إذ أنّ المسألة لا تعدو أن تكون اصطلاحا عصريا لشكل لم يوجد مستقلاّ في أي أدب من الآداب العالمية إلاّ في العصر الحديث، لذلك يشير أحد المفاهيم إلى أنّ أدب الطفل هو الأدب الموروث، وأدب الحاضر، وأدب المستقبل، لأنّه أدب موجّه لمرحلة عمرية طويلة من عمر الإنسان.

2- أهداف أدب الطفل: لمّا كانت الطفولة أضعف مراحل نمو الإنسان (إذا استثنينا مرحلة الشيخوخة) على مستويات البنية الجسدية والعقلية والعاطفية، كان تأثّره شديدا بكلّ ما يمثّل مظاهر مقابلته بالكبار، وهكذا تظهر علامات ومؤشرات الرغبة في تحقيق الذات بواسطة محاولة معرفة كلّ ما يعتقد أنّ الآخرين يعرفونه، تدفعه إلى ذلك غريزة قوية لحب التطلّع واكتشاف العالم من حوله، لذلك يعمد علم نفس الطفل في إشباعه لرغبات الأطفال النفسية على الأدب في المقام الأوّل، وذلك منذ أن أنشأ "ماسلو" مدرجه الهرمي لحاجات الطفل والذي يبدأ بالحاجات الفيزيولوجية وينتهي بالحاجة النفسية إلى التقدير واحترام الذات.

يسعى أدب الطفل بمختلف أشكاله وأنواعه، إلى أن يحقّق للطفل جملة من الأهداف والوظائف الحيوية، التي تساعد على نمو سليم ومتكامل للطفل جسديا ونفسيا وعقليا، فنحن نعثر على أعمال، الهدف الأساسي منها هو الترفيه والتسلية، وأعمال تروم تنمية أخلاق الطفل في الاتجاه الإيجابي، وأعمال تعمل على بثّ المبادئ والقيم والسلوكيات الصالحة، وأخرى تستثير الانطباعات وتقدّم صورا من الخيال المغذّي وتفسّر الظواهر الطبيعية والكونية، وبالإجمال فإنّ لأدب الطفل أهداف يسعى إلى تحقيقها عبر قيامه بجملة من الوظائف-الأهداف وهي:

2-1-التربية اللغوية:

الأدب تشكيل لغوي، والكلمة والجملة بالتالي هما وسيلتا هذا التشكيل اللّغوي الذي نسميه الأدب، وإذا كنا نعلم أن الإنسان لا يكتسب اللغة دفعة واحدة، إنّما على مراحل، ظهرت الضرورة إلى اعتماد لغة الطفل أو بالأحرى المستوى اللّغوي للطفل فيما نكتب له من أدب، وذلك قصد تسهيل الوعي بمعنى الكلمة ودلالة الجملة وتسهيل عملية الحفظ الناتجة عن جريان اللّغة على لسان الطفل، وتشير الدراسات في هذا المجال، إلى أنّ قاموس الطفل اللّغوي ينمو وتزداد مفرداته تبعا لسن الطفل على النحو التالي:

- السنة الثانية ← حوالي 272 كلمة.
- السنة الرابعة ← حوالي 1550 كلمة.
- السنة السادسة ← حوالي 2562 كلمة.
- السنة الثامنة ← حوالي 3600 كلمة.
- السنة العاشرة ← حوالي 5700 كلمة.
- السنة الثانية عشر ← حوالي 7500 كلمة.
- السنة الرابعة عشر ← حوالي 9000 كلمة[9].

وهذه الأرقام خاصة بالطفل عادي النمو، أي غير المتخلّف عقليا ولا الذكي جدًا أو العبقري، أمّا الشخص البالغ العادي فهو يستخدم 12000 كلمة، في حين يستخدم البالغ الذكي 14000 كلمة[10].

إنّ لغة الطفل في سنواته الأولى لغة حسيّة بدرجة أكبر إذ تخلو أو تكاد من المفردات ذات الدلالات المجرّدة، ولدينا نحن العرب إشكالية لغوية تتمثل في الموروث اللّغوي الشعبي واللّغة العربية الفصيحة، والطفل يلقى هذه المشكلة بمجرّد دخوله المدرسة فبماذا نكتب له أدبه؟ بلغة البيت والشارع أم بلغة المدرسة والكتاب

المدرسي؟ اختلفت الآراء في معالجة هذه المسألة، وشخصيا أميل إلى الاعتقاد باستخدام لغة فصحى ملحقة ببعض المأثورات الشعبية والطرائف التي يسمعها الطفل في البيت أو خارجه، وذلك لاجتناب التصادم بين لغة المدرسة ولغة البيت والمحيط، والأطفال شديدو الاهتمام في مراحل نموهم الأولى بالتعرّف على الأشياء المادية والحسّية التي تطالها أيديهم أو أعينهم، فيتلمّسونها أو يحركونها، أو يلعبون بها مكتسبين بذلك خبرة في التعامل مع المحيط، ومتطلّعين إلى معرفة أخرى، لذلك تزداد أسئلتهم عن أسماء الأشياء وفوائدها، ومادة صنعها وأوجه استخدامها، وإذا لم يلق الأطفال تجاوبا في هذا الشأن من العائلة، عمدوا إلى تسميتها باسم قد لا يمتّ إليها بصلة في الأصل.

وهنا مجال واسع لأدب الطفل في تعليم الطفل ألفاظا وجملا جديدة مرتبطة بخبرة حسية ولكنها خبرة غير معبّر عنها بالطريقة اللازمة لتعليم أو تعلّم سليم، ويتقدّم بهم خطوات في سبيل تعليمهم ألفاظا وكلمات غير معبّرة عن خبرات حسّية، بل معبرة عن حاجات نفسية، وهذه ضرورة وغاية يسعى أدب الطفل إلى تحقيقها عبر اللّغة وذلك بما يلي:

– تنمية المهارات اللّغوية (بتنمية مهارات القراءة والكتابة والاستماع والحديث).

– تنمية المهارات المعرفية (بتنمية القدرات العقلية كالتذكر والتفكير والتحليل والاستنتاج).

– تنمية الروافد الثقافية (مثل تنمية عادة القراءة، وربط الطفل بالمتغيّرات حول بيئته وألوان المعرفة من حوله).

– الحفاظ على اللّغة العربية فوق ألسنة النشء، إذ أن تقدم أي جماعة بشرية لغوية يقاس بمدى محافظة أهلها على اللّغة الأم. [11]

2-2-التربية الخلقية:

إن أدب الطفل ليس تربية دينية تحاول تحفيظ الطفل عددا من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة وسير السلف، وجملة من القيم التي تدرّس بطريقة الإلقاء والحفظ، إنّنا أمام شريحة حساسة، إن هي شعرت أنّها موضوع عملية ما، استدعت أساليبها في التحايل وإبداء أوجه اللامبالاة، لذلك يفترض، ويرجى، في الأعمال الأدبية ذات الطابع الديني الذي يكرّس القيم الأخلاقية أو ذات الطابع الحضاري الموسوم بجمال الأخلاق ورفعة السلوك، أن تقدّم بشكل لائق؛ غير مباشر وعميق في الوقت نفسه « فالتلميح أشدّ أثرا من التصريح لأنّه يخاطب العقل والعاطفة معا، ويثير العديد من الأسئلة الداخلية، مع محاولة العثور على إجابة مرضية.»[12] ومن شأن ذلك أن يجعل الطفل يتوحّد مع البطل في العمل الأدبي أو تستدعيه روعة العرض للدخول في علاقة مع بنية النّص دخولا يستلهم منه المغزى العميق الكامن وراء التشكيل اللّغوي للنص، عبر إيحاءاته أو تلميحاته التي من شأنها أن تمتع الطفل، وتجعل للأدب وظيفة خلقية تطمع المجتمعات المتقدمة على اختلاف دياناتها ومعتقداتها إلى ترسيخها في نفوس ناشئتها عن طريق الأدب الذي يسعى إلى:

– التهذيب والتأديب وغرس القيم والسلوكات المحمودة في النشء.

– غرس روح الانتماء والمواطنة والحفاظ على البيئة.

– مراعاة الآداب العامة ونبذ الآداب المرذولة.

– الإسهام في تحقيق نظرية التربية المتكاملة بفضل إكساب الطفل بعض المهارات والسلوكات والعادات في المدرسة وخارجها.

– تدعيم البناء الروحي والمادي المتوازن في شخصية الطفل عبر ترسيخ دعائم الإيمان والعلم والفضيلة وتنمية حواس الطفل الإدراكية وتوسيع رقعة أو مجال الخيال عنده، وتنمية مهارات الملاحظة والتأمّل والاكتشاف والتهيؤ.

– إكساب الطفل السلوكات الاجتماعية (بتحويل القيم الخلقية إلى سلوكيات ومعاملات مرغوبة وتعريفه ببيئته ووطنه وأمته وعالمه).

يهدف أدب الطفل، فيما يهدف، أيضا إلى «تشجيع الطفل على حرية التعبير وأساليب التفكير وذلك في التعبير عن المشاعر والأفكار، ويمدّه بخبرات التفكير

الناقد التي تتبدّى في الموازنات والمقارنات، واستنتاج العلاقات الخيالية الذهنية واللفظية» [13]

وانطلاقا مما سبق يتّضح أنّ أدب الأطفال يهدف عموما إلى بناء إنسان سوي، وتكوين مواطن صالح في سلوكه وأخلاقه، وهي مهمّة إن بدأت مع كلّ جيل من أولى مراحل حياته فإنّها ستمدّ المجتمع – ولاشكّ– بأجيال من المثقفين والأدباء والمتذوّقين للأدب والعلماء، وبذلك يصبح هؤلاء الذين نسمّيهم أطفالا، ذخرا لأمّتهم ومجتمعهم الذي ضمن فيهم مواطنين صالحين وأسوياء، يجمعون في تكوينهم النفسي والاجتماعي بين الحسّية والمثالية، فهم أفراد يعملون ويكدّون لأجل الكسب، وهم في المقابل رسل يمشون على الأرض بفضل السلوك السويّ الذي يأتونه وبفضل حسن المعاملة التي يبدونها.

2-3-التربية الفنية والوجدانية:

يقوم أدب الطفل في جانبه الجمالي على حسن التذوق ويقظة الوجدان، وهو لذلك يخاطب الطفل في ذوقه وفي وجدانه، مستثيرا خياله بطريقة رائعة توقظ حسب درجة جماليتها روح الإبداع في الطفل، ذلك أنّ ما يتعلّمه الأطفال من شعر وما يحفظونه من ألوان الغناء والأناشيد والمحفوظات يشعرهم أثناء استظهاره بنشوة عارمة وانسجام نفسي دقيق، يتولد عنه ذوق جمالي سليم يساعد في التعرف على الإيقاعات الموسيقية المختلفة الأطوال[14]، أمّا القصة فيكفيها فضلا ما تحدثه في الطفل من اندماج وجداني مع الأحداث، ومن انصهار تلقائي في ذوات الأبطال، مما يوقظ روح الإبداع، وينمّي فيه القدرة على الخلق والابتكار، وبفضل هذا كلّه يتمكّن أدب الطفل من:

– اكتشاف المواهب الأدبية والفنية.

– العناية التربوية بتلك الفئة من الموهوبين.

– تفجير طاقات الطفل الموهوب في ميادين الإبداع والابتكار.

– توجيه الطفل توجيها خالصا للمجالات الأدبية[15].

على أن هذه الوظيفة (أو هذه الأهداف) ليست نظرية إلى الحدّ الذي قد يتصوّره البعض، ذلك أنّ التربية الفنية والجمالية التي قام ويقوم بها أدب الأطفال قد تمكنت مما يلي:

– أصبحت التربية الفنية من المواد التي تحقق حرية التلميذ، وهذه الحرية تظهر في أساليب المعالجة المنفردة في التعبير الفني.

– أمكن التخلّص التدريجي من كراريس الرّسم التقليدية وتعويض ذلك بالعمل في لوحات باستعمال طرق وتقنيات متنوّعة.

– بدأت معارض الرسوم وأشغال الأطفال تتكرّر في مناسبات مختلفة في معارض محليّة أو عالمية.

– بدأت المؤلّفات التي تعالج مادة التربية الفنية والكتب التي تركز بمضمونها على رسومات وإبداعات الأطفال، تتكاثر.

– أصبحت الصحافة تلعب دورا هاما –إيجابيا وحيا– في تعليقاتها ومقالاتها حول مفهوم التربية الفنية للأطفال.

– أصبحت بعض المتاحف تنشئ أجنحة خاصّة بفن الأطفال، وذلك لتأسيس مكتبات فنية لإنشاء معارض دائمة للأطفال[16].

وعموما فإنّ الطفل الضعيف الخيال، ضعيف التحصيل، لذلك وجب توجيه التركيز في التربية الفنية والجمالية إلى الخيال التركيبي، الذي ينمي لدى الطفل ما نسميه بالخيال المبدع، وليس هذا فحسب إذ بمقدور "هذا الخيال" أن يوقع الطفل في دوامة خيالية أو تخييلية لا يخرج منها إلاّ ليقع فيها من جديد، لذلك فالأهم من تنمية الخيال هو توجيه هذا الخيال إلى الطريق السليم؛ حيث يكمل الخيال الواقع بما يضمن تحسين هذا الواقع انطلاقا من فكرة وميلاد "الفكرة" انطلاقا من واقع عيني، وهذا سبيل حسن لأن تمتلئ حياة الطفل بالجمال والخير وحب الآخر بفضل تعايش الخيال والواقع.

2-4-التطهير الانفعالي:

لا يخفى على من يتابع الأطفال وهم ينشدون أو يغنون ما تغمرهم من غبطة وما يعلو وجوههم من سمات الفرح والمرح والسرور لقدرتهم على التغلّب على خجلهم وتوتّرهم وخوفهم، ولعلّنا أمام صورة من صور التطهير في نظرية أرسطو التي ترى أن الأدب يطهّر نفس متلقية من زائد الخوف والشفقة الذي لا حاجة لنا به حتى نكون أسوياء، ولعل

مهمة أدب الأطفال في التطهير الانفعالي في عصرنا الحاضر يستوجب توجيهها إلى تخليص الأطفال مما قد ينتابهم من خوف وقلق من جراء ما تعرضه عليهم شاشة التلفزيون من مظاهر الاستعمال السلبي للعلم والإغراق في الجريمة، ومشاهد العنف والعدوانية المبرّرة بالأسباب التاريخية أو الأيديولوجية، لذلك يسعى أدب الطفل في جانبه التطهيري والتنفيسي إلى:

– توفير المتعة والترويح، وذلك يتوقّف على نوعية المادة المعروضة في الكتاب، فإذا كانت ممتعة تمت قراءته، وإذا كانت مملّة سيوضع جانبا قبل الفراغ من قراءته.

– يهدف الأدب إلى مساعدة الفرد (الطفل) على فهم نفسه وبيئته.

– توفير المجال لفهم جوانب الحياة التي نعرفها[17].

يضاف إلى هذا أنّ تطهير النفس من العواطف الزائدة أو الزائد من بعض العواطف يساعد على بناء شخصية سوية تتعرّف على الحياة بطريقة سليمة «لذلك وجب أن تحتوي كتب الأطفال على مضامين مناسبة، كبعض الأحداث الدرامية، أو الموضوعات التي تتّفق مع المستوى الإدراكي للأطفال.» [18]

3- خاتمة:

لمّا كانت الغاية القصوى من أدب الطفل هي بناء الإنسان السوي، القادر على السير بمجتمعه نحو الازدهار والرقي، كان لهذا المقال أن يتتبع هذا المفهوم وأهدافه، التي تشترط فيها المرحلية، موازاة مع مراحل نمو الأطفال وخصائصها، إذ يرى النقد أنه من غير المنطق أن يهدف أدب الطفل في المراحل الأولى إلى تكوين العلماء أو الأئمة أو الأدباء، إنّما فقط طفل سليم في نموه العقلي والنفسي، على أن يتدّرج الأدب صعودا في اللّغة والمعاني والأهداف مع نمو الطفل.

الهوامش:

1- حسن شحاتة، أدب الطفل العربي، دراسات وبحوث، ط2، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة 1994، ص12.

2-رشدي طعيمة، أدب الأطفال في المرحلة الابتدائية: النظرية والتطبيق، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة 1998، ص24.

3-أحمد زلط، أدب الطفولة، أصولها ومفاهيمها رؤى تراثية، ط4، الشركة العربية للنشر والتوزيع، القاهرة 1997، ص26-27.

4- أحمد نجيب، أدب الأطفال علم وفن، دار الفكر العربي، القاهرة 1991، ص279-280.

5- أحمد زلط، أدب الطفولة: أصولها ومفاهيمها: رؤى تراثية، مرجع سابق، ص26-27.

6-أحمد زلط، أدب الطفل العربي: دراسة في التأصيل والتحليل، ط1، دار هبة النيل للنشر والتوزيع، القاهرة 1998، ص108، وينظر للمؤلف نفسها: أدب الأطفال بين أحمد شوقي وعثمان جلال، ص15 وما بعدها.

7-على الحديدي، في أدب الأطفال، ص12 ومابعدها.

8-المرجع نفسه، ص12.

9- فهيم مصطفى، الطفل والقراءة، ط2، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة 1998، ص28.

10-المرجع نفسه، ص28.

11 -أحمد زلط، أدب الطفل العربي، دراسة معاصرة في التأصيل والتحليل، مرجع سابق، ص212 وما بعدها.

12-محمد علي الهرفي، أدب الأطفال دراسة نظرية وتطبيقية، مرجع سابق، ص51.

13-أحمد زلط، أدب الطفل العربي، دراسة معاصرة في التأصيل والتحليل، مرجع سابق، ص 215.

14-ينظر محمد الهرفي، أدب الأطفال دراسة نظرية وتطبيقية، مرجع سابق، ص51.

15-أحمد زلط، أدب الطفل العربي، دراسة معاصرة في التأصيل والتحليل، مرجع سابق، ص213.

16 -سعيد أحمد حسن، ثقافة الأطفال واقع وطموح، ص135.

17 -محمد علي الهرفي، أدب الأطفال دراسة نظرية وتطبيقية، مرجع سابق، ص53.

18-المرجع نفسه، ص54.

أفانين القول العربية في ظلال القرآنية الربانية

د. ليلى جودي
(جامعة الجزائر2)

الملخص:

أغرم العربي قبل نزول القرآن بجمال لسانه الذي كان يفصح عن مكنونات نفسه ويبين عنها بحروف وكلمات تأتيه طائعة كلما استدعاها، ليوجد فنا قوليا هو نتاج فكره، فيصنع بالألفاظ والمعاني جمالا دالا على أنه رب الفصاحة والبيان، وقد ظل يحظى بهذه المرتبة المشرفة فترة من الزمن حتى اعتلى القرآن الكريم، بمجرد نزوله، الذروة مع إعجازه الميسر للذكر، وقدرته على شد أواصر التواصل بقلوب خلق الله كافة، زمانا ومكانا، هذه القلوب التي بها يبصرون، ويعقلون، ويفقهون فيحيون بنظمه البديع المتميز، وبتأليفه العجيب المتفرد، وبأسلوبه الباهر الخاص، وببيانه الناصع الجلي، وبصحة معانيه، واستمرارها وموافقتها لطريقة العقل، وبتوالي فصاحة ألفاظه، وما فيه من الإخبار عن الغيوب وأمور المستقبل أو عن قصص الأولين، وبجلاله وبروزه بشكل خارج عن العادة، مغاير لكل الأجناس الأدبية المعهودة والمبتكرة الجديدة، وبروحانيته التي لم تعرف في كلام العرب كلهم ... إنه ببساطة حديث عن العرب بين المفاخرة بأفانين قولهم والإقرار بالخذلان في ظل حضور القرآن.

RESUME :

Le travail de recherche traite de la problématique relative à la primauté du Texte Sacré du Saint Coran sur la création poétique arabe, particulièrement durant la période Antéislamique (Djahiliya) où le poète exprimait sa vocation poétique allégrement, en toute facilité et liberté, dans une langue exprimée clairement.

Et le Saint Coran vint pour mettre en évidence toute une dimension, tout un ensemble de particularités extraordinaires

الموضوع:

شكلت قرآنية القرآن عند كثير من الدارسين من أصحاب الاختصاص، حقلا من الحقول اللغوية التي ركزت على تفسير النص القرآني وإبراز لغته المعجزة؛ لأنهم وجدوه النص الجامع لأكثر السمات الأسلوبية العربية، من حيث فنياته وبديع تركيبه وحسن نظمه وتأثيره في نفوس سامعيه، وأيضا لروحانيته وعدم اختلاله فكرا وأسلوبا... وغيرها من الأسرار التي تعجز النفس البشرية عن إدراكها كلها مهما بلغت درجة علمها. ورغم قناعة العرب خاصة بل يقينهم أن اللسان العربي عالم قائم، وتاريخ حافل، تمخّض عنه فحول كثر، ومصاقع لسن، جعلوا من فن القول مفخرة العرب كلّهم، ومنتهى التباهي لديهم؛ إذ جرت العادة عند القبائل العربية جميعها، أن تحتفل بميلاد شاعر ينبغ، بوصفه لسان حالها في جل المواطن والمواقف، خاصة الصعبة منها، لما له من كبير أثر في النفوس، وحسبه أنه كان يعلي من شأن قومه، ويرهب عدوهم، ويقيّد عليهم مآثرهم، كما حفل بذكر أنسابهم وأيامهم وأخبارهم...

ولئن كان فن القول نتاجا فكريا، وصناعة جمال بالألفاظ والمعاني، فإن هذه البضاعة كانت تعرض في أشهر الأسواق، والمحافل، وأكبرها، مثلما كانت تعرض البضائع التي كانت تستجلب من كثير من الأقطار، وقد كانت تحظى بأكبر قدر من الاهتمام والرعاية، من قبل جهابذة النقد، ممن كانوا من أهل الصنعة الذين أحاطوا بمذاهب العرب في الكلام، فكان لهم وزنهم في مجال الإبداع المطرب، والبيان المفطور في طبائع العرب، إذ الصحيح أن العرب هم أرباب الفصاحة والبيان، يتلاعبون بالحروف والكلمات كما يروق لهم، فيرسمون بهما لوحة الحضور والوجود، كما كانوا مغرمين بجمال لسانهم، الذي شكلوا منه ركائز الثقافة الحية لديهم، كالقصيد العجيب، والرجز الفاخر، والخطب الطوال البليغة، والقصار

الموجزة، ولهم الأسجاع والمزدوج، واللفظ المنثور... إذ تأتيهم الأفكار طائعة منقادة، وتراود خيالهم أروع الصور الفنية وأبهى الأساليب، فتتصاع لهم فنون القول ذليلة . كما بدا لهم .. ولما كان الأمر كذلك، كان لابد أن يُتحدّوا بكلام نسيج وحده، روعة، وبيانا، وفصاحة، وبلاغة، وصدقا، وعلو منزلة، وسمو قدر... كلام تستيئس كل النفوس من مجرد التفكير في اقتفاء أثره، أو الإتيان بآية من آياته المحكمة المفصلة، يقول الجاحظ: «وكذلك دهر محمد . صلى الله عليه وسلم . كان أغلب الأمور عليهم وأحسنها عندهم وأجلها في صدورهم حسنُ البيان ونظم ضروب الكلام، مع علمهم له، وانفرادهم به، فحين استحكمت لفهمهم، وشاعت البلاغة فيهم، وكثر شعراؤهم وفاق الناس خطباؤهم، بعثه الله عز وجل، فتحداهم بما كانوا لا يشكون أنهم يقدرون على أكثر منه».[1]

والحق أن الأمر هنا كان أكبر من التحدي، وإعلان تفوق نص على آخر، إذ لا مجال للموازنة بين شيئين متناقضين، بين الحياة السرمدية التي تجلت بقوة في القرآن الكريم، ونصوص فيها كثير من المعايب، التي طفت على سطح الإبداع، خاصة بعد نزول القرآن الكريم؛ وقد تجلت بدورها في «كثير من اللفظ المستكره، والمعنى المستغلق، والسياق المضطرب، والأسلوب المتهافت، والعبارات المبتذلة».[2] ونحن هنا لا نستهين بقدر المبدع، ولا نهون من قيمة إبداعه الأصيل، الذي يقوّم الألسنة، ويثقفها، ويقف حكما لا يُرَدُّ، للحكم على صواب اللغة، والنحو، أو خطئهما. ولا ننزل بهما إلى مرتبة الإسفاف، إذ من غير المعقول أن نتصور العرب سذجا فكريا، فهذا أمر مناقض لما وصل إليه العرب، وما خلفوه من آثار أدبية قيمة. كما يناقض أن القرآن جاء متحديا لفكرهم، وأسلوبهم، وألسنتهم، وفصاحتهم، فلقد ظل كلاهما . أي المبدع وإبداعه . يحظيان بمرتبة الشرف، ردحا من الزمن طويلا، إلى أن اعتلى القرآن الكريم، بمجرد نزوله، الذروة العليا، دون أن يبذل جهدا أو ينتظر حولا، كي يكسب شرعية وجوده، وينال رضا الجميع، لما له من سطوة على القلوب والعقول في آن معا، بشهادة ألد أعداء الإسلام، الوليد بن المغيرة، الذي كان أعلم بالشعر، ورجزه، وقصيده في قومه. كما كان مقتدرا، وبليغا، ومتذوقا، فقال لبني مخزوم منبهرا، بأنّه ما عهد سماع مثله، مقرّا بأنّه . حقا . وحي من السماء، ولو أنكر . بعد ذلك . هذا الأمر جحودا ونكرانا: «والله لقد سمعت من محمد، آنفا، كلاما ما هو من كلام الإنس، ولا هو من كلام الجن. والله ما يشبه الذي يقول شيئا من هذا، ووالله إنّ لقوله الذي يقول حلاوة، وإنّ عليه لطلاوة، وإنّه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله، وإنّه ليعلو ولا يعلى عليه، وإنّه ليحطم ما تحته».[3] وفي هذا الإقرار دلالة هامة على أنهم «كانوا عبدة البيان قبل أن يكونوا عبدة الأوثان! وقد سمعنا بمن استخف منهم بأوثانهم، ولم نسمع قط بأحد منهم استخف ببيانهم»[4].

أيضا فإن فصحاء العرب يدركون مع تعنتهم وعنادهم أنهم لو قالوا بأن القرآن هو كلام الرسول . صلى الله عليه وسلم . لا كلام الله . عز وجل . للزمهم ذلك الإقرار بثبوت المعجزة، وقيام الحجة على صحة النبوة، فإن أقروا بأن القرآن هذا النظم العجيب هو كذلك ،وقد عجزوا مع فصاحتهم وتضافرهم عن الإتيان بمقدار ثلاث آيات منه في المدة المتطاولة، مع تكرار التوبيخ وترداد التقريع، وهم من أوتوا قدرة على الكلام، فقد اعترفوا بعجزهم عما تحداهم به رجل منهم؛ لغته لغتهم، ونسبه نسبهم، وبلده بلدهم، وأقروا بأن فصاحته قد خرقت العادة المعروفة عندهم، وبذلك يكون هذا أشد عليهم وأنكى لقلوبهم وأبكى لعيونهم، إذ أتى مخلوق مثلهم بنوع من الفصاحة لا يقدرون على الإتيان بالقليل منه، فإنه لا عجب من عجز المخلوق عما يأتي به مخلوق مثله.[5] هكذا «فلقد دأب الخطاب القرآني على الاعتداد بأدبية آياته المحكمات، ودأب أيضا على تحدي أهل البيان أن يجاروه فيها، فما فعلوا قصورا عن اقتحام أسوار أدبية لا قبل لهم بها في كل ما مارسوه من أجناس قولية وفنون كلامية».[6] ومن

أجل هذا اتهموا الرسول . صلى الله عليه وسلم . بالافتراء، وبأنه شاعر، ونسبوا إليه الجنون والسحر.

لقد عفت روحانية القرآن على إلهامهم، ومحا سحر بيانه شاعريتهم، ودرس عجيب نظمه مقدرتهم البلاغية، فخرت فنون القول من علوها الأشم صعقة، وغدا فصحاؤها وبلغاؤها صاغرين أمام جلال أجل، وصار سفيههم يخبط خبط عشواء بترهات وخزعبلات، عساه يفلح في محاربته كلام الله، ولكن هيهات هيهات... لقد بدت كلماته مجرد سخافات، ما ارتضاها الكافرون المتعنتون، فما بالنا بالمؤمنين العقلاء، لقد نظروا في القرآن وتدبروا آياته فـ «أعجزتهم مزايا ظهرت لهم في نظمه، وخصائص صادفوها في سياق لفظه، وبدائع راعتهم من مبادئ آيه ومقاطعها، ومجاري ألفاظها ومواقعها... وبهرهم أنهم تأملوه سورة سورة، وعشرا عشرا، وآية آية، فلم يجدوا في الجميع كلمة ينبو بها مكانها، ولفظة ينكر شأنها، أو يرى أن غيرها أصلح هناك أو أشبه، أو أحرى أو أخلق، بل وجدوا اتساقا بهر العقول، وأعجز الجمهور، ونظاما والتئاما، وإتقانا وإحكاما، لم يدع في نفس بليغ منهم، ولو حك بيافوخه السماء، موضع طمع».[7]

حقا لقد تحول فن القول؛ هذا الصنم الناطق، الذي ربما كان يعبد أكثر مما كانت تعبد أوثانهم . اللات والعُزَّى ومناة . إلى صنم أخرس، شل الألسنة وبهر العقول، بل لقد أفل شأنهم، وصار أروع ما أنتجوه سخفا، أمام قرآن شامخ عظيم، يتمثل بنفسه عاليا. ويكفينا أن نطرح السؤال التالي: هل سبق أن صادفنا في القرآن كله . وهو يحوي مئة وأربع عشرة سورة (114)، وستًّا وثلاثين ومائتين وستة آلاف آية (6236) . سورةً تفتتح أو تختتم بالاعتذار عن التقصير أو الزلل أو العيب أو الفتور؟ ولكن كثيرا ما وقفنا على نصوص بعينها، يعترف أصحابها بقصورهم، ويلقون على إبداعاتهم جملة من التهم، التي تؤكد أنّ زعمهم باطل، وأن قصورهم وارد، ويرمون أنفسهم بالوهن، وأنّ ما جاؤوا به قديم مستهلك، ويعلنون موت قريحتهم ولو لحين. وإن كان من غير المنصف أن نوازن بين الثرى والثريا، بين إبداع قاصر وقرآن عجب، بين كلام بشري، كان في مراحله الأولى النموذج الفني الأعلى، الذي له جماله المكتمل، وله قيمته المطلقة الثابتة، فكان المقياس والقاعدة، وأصوله نهائية وراسخة، لا يجوز الانحراف عنها، أو العبث بها، أو تخطيها.[8] ولكن لم ترسخ جذوره، ولم يكتسب حق وجوده، ولم يحظ بالقبول إلا بعد أن امتص كل قطرة من نبع مبدعه، ومخيلته، واستغرق كل وقته، واستنفد كل جهده، ولعل ما يؤيّد هذا ما قاله امرؤ القيس: [9]

عُوجَا على الطَّلَلِ المُحِيلِ لأَنَّنا
نَبْكِي الدِّيار كَما بكى ابنُ حُذَام

وقول كعب بن زهير:[10]

ما أرانا نَقُولُ إلا رَجيعًا
ومعادًا من قَولنا مَكْرورا

وهذا أبو العتاهية يعتذر عن تقصيره مع عدد من الشعراء الفحول على سبيل المثال لا الحصر قائلا:[11]

عَجِبْتُ حتى غَمَّنِي السكوتُ
صِرْتُ كأنِّي حائرٌ مَبْهوتُ
كذا قضَى اللهُ فكيف أصْنَعُ
والصَمْتُ إن ضاق الكلامُ أوْسَعُ

وقول حسان بن ثابت:[12]

تَذَكَّرُ آلاء الرَّسُولِ ومَا أَرَى
لها مُحْصِيًا نَفْسي فنَفسي تَبَلَّدُ
وما بَلَغَتْ من كلِّ أَمْرٍ عَشِيرَهُ
وَلَكِنَّ نَفسي بعضَ ما فيه تَحْمَدُ

وقول أبي نواس:[13]

وإني جديرٌ إذْ بلغْتُكَ بالمُنى
وأنتَ بما أمَّلْتُ منكَ جديرُ
فإنْ تُولني منك الجميلَ فَأَهْلُهُ
وإلاّ فإنّي عاذرٌ وشَكُورُ

وقول شاعر الحماسة أبي تمام:[14]

فَإِنْ يَكُ جُرْمٌ عَـنَّ أو تَكُ هَفْـوَةٌ

عَلى خَطَإٍ مِنِّي فَعُـذْرِي على عَمْـدِ

وقول آخر:[15]

رَهَنْتُ يَدَيَّ بِالعَـجْزِ عَنْ شُكْرِ بِرِّهْ

وَمَا فَوْقَ شُكْـرِي لِلشَّكُورِ مَزِيـدُ

وَلَوْ كَانَ مِمَّا يُسْتَطَـاعُ اسْتَطَعْتُهُ

وَلَكِنَّ مَـا لاَ يُسْتَطَـاعُ شَـدِيـدُ

وقال الآخر (العميان):[16]

ولكَنْ وإنْ طالَ مَدْحِي لا أَفِي أَبَدًا

فَاجْعَل العُـذْرَ والإقْـرَارَ تُخْتَتَمِي

وهاهو فحل مضر في زمانه . الفرزدق . يقول: «تَمُرُّ عَلَيَّ ساعةٌ وقلعُ ضِرس من أضرسي أهون عليَّ من عمل بيتٍ من الشعر»،[17] وليس ابن المقفع ببعيد عن الفرزدق، مع بلاغة قلمه ولسانه، يقول مقرا معترفا: «الذي أرضاه لا يجيئني والذي يجيئني لا أرضاه».[18] وكذلك نجد من الشعراء من يقدر على غرض دون آخر، «فإنا قد علمنا من عادات الناس وطبائعهم أنّ الواحد منهم تواتيه العبارة، ويطيعه اللفظ في صنف من المعاني، ويمتنع عليه مثل تلك العبارة وذاك اللفظ في صنف آخر».[19]

ولئن كان المتكلم المبلِّغ البشر يعاني توترا رهيبا بين مقصده وانتقائه الكلمات التي تؤدي ذلك القصد، فإنّ التوتر شمل بذلك اللفظ ككلمة رائقة ومناسبة لهذا القصد أو ذاك؛ فيأتي تعبيره على خلاف مراده. إذاً لم يتوقف الأمر في الكلام البشري عند التذبذب والخطأ فحسب، بل تجاوز ذلك إلى القصور والاجترار، ووضع المخيلة ضمن إطار مغلق، لا يخرج عن النزعة المادية الحسية التي احتواها الوسط البيئي، كما لا يخرج عن القوالب الجاهزة التي لا يحق لأي مبدع أن يحيد عنها، فكل شيء عنده مرسوم سلفا وفق قوانين ثابتة لا مناص له منها، لقد صار أمامها مكبلا واهنا، وجاء القرآن ليهزه ويغمسه في أفق أرحب، عساه يغيّر نظرته لهذه الصناعة، ولكنّه ظل عاجزا عن كتابة كلام يضاهي كلام الله لكونه «أوجد اللغة مفردات فانية، وأوجدها القرآن تراكيب خالدة».[20] وحسبنا هنا أن نشير إلى جملة من المساوئ التي وجدها المبدعون في كلامهم، حينما كانوا في كل واد يهيمون، فذكروها إنصافا للسان العربي منها: العيّ، والبكئ، والحَصِر، والمُفْحَم، والخَطِل، والمُسْهَب، والمتشدِّق، والمتفيهق، والمِهمار، والثرثار، والمكثار، والهمَّار، وذكروا الهُجْر، والهَذَر، والهَذَيان، والتَّخليط*... فشتان بين هذا الخطاب البشري، وبين كلام إلهي ذي مناح فنية، وجمالية، وحقائق مطلقة سلكها في الإيصال والتواصل، فامتلك بها روح المتلقي وقلبه وعقله وكل جوارحه، مع أنّ القرآن الكريم جاء بلسان عربي مثل لسانهم . أي لسان العرب . الذي يتلفظون به ويعبرون عن حاجاتهم. وكان منطلقه في ذلك أن استعمل ذات المعطيات المعروفة المتداولة من حروف وألفاظ ومعان واستعارات... فمن أين له بهذا التأسيس الإعجازي المتفرد الذي لم يألفه العرب، ونخص بالذكر أئمة الفصاحة والبيان والبلاغة، وما سمعوه في آبائهم الأولين، ومن أين له بسرمدية الخلود؟

من المسلمات التي لا مشاحة فيها أنّ القرآن الكريم بلاغ الله الأزلي، الذي أعجز الناس كافة عن محاكاته، وتحدى كل العرب، وهم أفصح الأمم وأقدرهم على البيان، عن الإتيان «بمثل الحروف التي في القرآن، منظومة كنظمها، متتابعة كتتابعها، مطردة كاطرادها، ولم يتحدهم إلى أن يأتوا بمثل القرآن القديم الذي لا مثيل له، وإن كان كذلك، فالتحدي واقع إلى أن يأتوا بالحروف المنظومة، التي هي عبارة عن كلام الله تعالى في نظمها وتأليفها، وهي حكاية لكلامه، ودلالات عليه، وأمارات له، على أن يكونوا مستأنفين لذلك لا حاكين، بما يأتي به النبي».[21]

ومما لا مشاحة فيه . ايضا . أن العرب كانوا . وهم أهل البيان . يسجدون لفصاحة آياته، إيمانا منهم بأنه نموذج فريد لا عهد لهم به، فما تجرأوا على مجاراته، وحسبنا بيانا سجود بعض الأعراب لما سمع قوله تعالى في هذه اللفظات الثلاث:﴿ **فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ...** ﴾سورة الحجر الآية 94؛ «فقيل له لما سجدت؟ فقال: سجدت لفصاحة هذا الكلام. ومن ثمة يتبين لنا أن العرب تيقنت من أول ما سمعت القرآن أنه غير مقدور للبشر، فلم تشتغل بالمعارضة، ولا حدثت نفوسها بها».[22] ومن ذلك قول قريش عن القرآن فيما ورد في محكم التنزيل:﴿ **مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ** ﴾سورة المؤمنون الآية 24 إنكارا منهم لغرابة أسلوبه، وما بهرهم من فصاحته، ثم غايروا أنفسهم في وقت آخر فقالوا:﴿ **وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ** ﴾سورة الأنفال الآية 31 مما يعني أنهم ما قالوا وما تجرأوا وما قولهم الوارد في هذه الآية إلا دليل على تعنتهم جحودا واستنكارا ليس إلا.

كما جعل أمر التحدي مفتوحا، لا تحده ضوابط بعينها زمانا ومكانا، وأمهلهم العمر كلّه، مقابل الاتيان بمقدار يسير من الآيات من عندهم، تبلغ نظم آيات القرآن في الشرف أو تقرب منه، فقال عز وجل: ﴿**فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ**﴾ سورة الطور الآية 34، وقال تبارك وتعالى: ﴿**أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾ سورة هود الآية13، وقال عز وجل: ﴿**وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾ سورة البقرة الآية 23. إنّ المتأمل في هذه الآيات، يرى أنّ صور التحدي كانت متنوعة، بين تحد بالقرآن كلّه، وبين تحد بعشر سور، وبين تحد بسورة واحدة منه؛ ففي كل مرة كان الله . عزّ و جلّ . ينقص المقدار، ويخفف من عبء التحدي، ولكنهم ظلوا حيارى نحوه، عاجزين عن معارضته بل ما تجرؤوا، وهم فرسان الكلام، على اقتحام حصنه المنيع؛ لأنهم يدركون، مع تعنتهم وعنادهم، أنهم لو قالوا: إن القرآن هو كلام الرسول . صلى الله عليه و سلم . لا كلام الله عز وجل، للزمهم ذلك الإقرار بثبوت المعجزة وقيام الحجة على صحة النبوة، فإن أقروا بأن القرآن، هذا النظم العجيب، هو كذلك، وقد عجزوا مع فصاحتهم وتضافرهم عن الإتيان بمقدار ثلاث آيات منه في المدة المتطاولة، مع تكرار التوبيخ وترداد التقريع، وهم من أوتوا قدرة على الكلام، فقد اعترفوا بعجزهم عما تحداهم به رجل منهم لغته لغتهم، ونسبه نسبهم، وبلده بلدهم، وأقروا بأن فصاحته قد خرقت العادة المعروفة عندهم، وبذلك يكون هذا أشد عليهم، وأنكى لقلوبهم، وأبكى لعيونهم، إذ أتى مخلوق مثلهم، بنوع من الفصاحة لا يقدرون على الإتيان بالقليل منه؛ فإنّه لا عجب من عجز المخلوق عما يأتي به الخالق، إنّما العجب من عجز المخلوق عمّا يأتي به مخلوق مثله،[23] وإذا كان الرسول . صلى الله عليه وسلم . وهو الذي يحتل مكانة عالية لدى كل الناس، وكان أفصح العرب قاطبة وأبلغهم وألسنهم، لم يتقوله، ولا يقدر على هذا الكلام، فكيف لبشر عاديين، لن يرقوا إلى مرتبته فصاحة وبيانا وأخلاقا ومكانة، أن يقولوا مثل كلام الله، الذي سدّ لهم منافذ القول، بثبوته على وتيرة واحدة، وسيره على نهج واحد، ما زاغ عنه أبدا، دلالة، وتشريعا، وبلاغة، وفنا؟ مما يعني أنه نتاج لذات متحدثة وحيدة لا كفؤ لها، إنها الذات العظمى، التي «لا تضعف حتى في المواطن التي تعبر فيها عن الرحمة، وإنّ قوتها واحدة في جميع سوره وآياته؛ فهي دائما ربانية، قوية، جبارة، منتقمة، عادلة، حكيمة، آخذة بزمامي الترغيب والترهيب، ذات سلطان مطلق، وتتسم من وراء ذلك كله بطاقات روحانية هائلة، تؤثر في الكلمات تأثير الروح في الأجساد»،[24] إنّها ذات الله العليم القدير ﴿**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا**﴾ سورة النساء الآية 82.

هكذا فقد بعث الله عزّ وجل نبيه المصطفى محمدا . صلى الله عليه وسلم . رسولا هاديا، و مبشرا، ونذيرا، ومبلغا كل العرب والعجم، والإنس والجن، بلاغ ربه وما جاء فيه من أوامر ونواه، وفضّله على كلّ أنبيائه ورسله وسائر عباده برسالة أيّده بها، وجعلها آية أزلية محفوظة، مصداقا لقوله سبحانه وتعالى: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾ سورة الحجر الآية 9، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿**بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ**﴾ سورة البروج الآية 22، لكون أنّ «أي عملية اتصالية قد يعتريها تشويش يبدل عناصرها، ويغيّر محتواها، فإنّ الله عز وجل حفظ كتابه من التغيير والتبديل»،[25] كما شرّف الله رسوله الكريم بضم اسمه إلى اسم رسوله، ليجله تحقيقا لتمام الإيمان الحق وكماله.

نعم... إنه بلاغ الله الذي نزّله على عبده ورسوله خاتم الرسل محمد بن عبد الله . صلى الله عليه وسلم .، بعد أن أحكم آياته، وفصلها بلسان عربي مبين، ولم يجعل لها عوجا، لينذر به وليجعله ذكرى للمؤمنين، إنه كتاب حق وصدق﴿ **وَمَنْ أَصْدَقُ مِنْ اللَّهِ حَدِيثًا** ﴾سورة النساء الآية 87، الذي أقسم في أكثر من موطن في محكم تنزيله، تأكيدا أنّه من عنده، وبرهانا قاطعا أنّه كلام رباني نازل من عليائه، فقال جل جلاله:﴿ **وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾سورة الشعراء الآية 192.

إنه يمكن التماس قرآنية القرآن في بعض الأسرار التي لا تنضب، والتي قصر العقل البشري عن إدراكها كلها، لذلك فقد ذكر [العقل البشري] جملة من المقاييس النوعية الموجودة في النص القرآني والتي تسمه بالتفرد، وهذه المقاييس تتجلى فيما جاء به من أنماط مختلفة من وجوه القول، متعلقة ببنيته التعبيرية المتميزة في نقل المعنى وفي تحديد دلالة الكلام؛ أي متعلقة بنظمه العجيب، وأسلوبه الغريب، وفيما يحدثه من أثر عند سماعه أو تلاوته، كما تتجلى في إخراج الكلام غير مخرج العادة، وفي علاقته بالمتلقي باعتباره موضوع الخطاب يكشف بعض خفاياه ويتعامل معه ويعمل به.. وهي أمور تستشف أولا بخاصية من خاصيات القرآن الكثيرة؛ وهي فعل القراءة كممارسة تستدعي حضور كل عناصرها من قراءة، وتلاوة، وترتيل، وتأويل، وتفسير، وتدبر، لدراسة النص القرآني واستيعابه؛ ذلك أن «النص القرآني هو من أكثر النصوص حثا على القراءة واستدعاء لها»[26]، وبتعبير آخر أن القرآن الكريم نص أنشئ للقراءة بدليل قوله تعالى: ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (1) خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (2) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (3) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (4) عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (5)**﴾ سورة العلق، وقوله تعالى: ﴿**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا**﴾ سورة محمد الآية 24 وقوله تعالى: ﴿**وَرَتِّلْ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا**﴾ سورة المزمل الآية 04 وقوله عز وجل: ﴿**الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمْ اللَّهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ**﴾ سورة الزمر الآية 18، وقوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ آتَيْنَاهُمْ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُوْلَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْخَاسِرُونَ**﴾ سورة البقرة الآية 121 وقوله تعالى: ﴿**بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ سورة النحل الأية 44... وغيرها من الآيات التي تدخل في إطار القراءة وما تتطلبه من إعمال العقل والقلب والسمع للتفكر والتدبر والتفسير والتأويل والتفقه والتذكر.

إذا فالقرآن الكريم خطاب موجه إلى كافة الناس لا إلى فئة مخصوصة، بدليل استعماله صيغة الجمع مثل "فَاقْرَءُوا" و"فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا" حتى وإن جاء بصيغة "اقرأ" أو "اتل" وبدا أنه خطاب من الله لرسوله . صلى الله عليه و سلم . فهو في حقيقته خطاب يراد به العموم على اختلاف مشارب الناس وبيئاتهم، ولا شك أن هذا الاختلاف كان سببا رئيسا في ظهوره في أشكال متعددة، من خلالها عبر عن معانيه إما تعبيرا ظاهرا محكما مكن جميع الناس من فهمه؛ حيث جاء الكلام فيه مفصلا، والتفصيل على قسمين: «متصل ومنفصل، فالمتصل منه

كل الكلام وقع فيه أما وأما؟ وقيل ذلك إجمال وما بعد أما تفصيل مثل قوله تعالى: ﴿**يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ...**﴾ سورة آل عمران الآية 106 إلى آخر الكلام ثم قال تعالى: ﴿**وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾ سورة آل عمران الآية 107 وأما المنفصل من التفصيل: فهو ما يأتي مجمله في سورة ومفصله في أخرى، أو في مكانين مفترقين من سورة واحدة»[27] و/ أو جاء الكلام مفسرا «كأن يأتي المتكلم في أول كلامه بمعنى لا يستقل الفهم بمعرفة فحواه إما أن يكون مجملا يحتاج على تفصيل أو موجها يفتقر إلى توجيه، أو محتملا يحتاج المراد منه إلى ترجيح لا يحصل إلا بتفسيره وتبيينه»[28]، أو جاء فيه بسط و/ أو إيضاح، والبسط «يفيد معاني شتى من إيضاح إشكال وتفصيل إجمال»[29] أما الإيضاح فهو «أن يذكر المتكلم كلاما في ظاهره لبْس، ثم يوضحه في بقية كلامه»[30]، أو جاء الكلام فيه استقصاء و/ أو حسن بيان «كأن يتناول المتكلم معنى فيستقصيه، فيأتي بجميع عوارضه ولوازمه بعد أن يستقصي جميع أوصافه الذاتية بحيث لا يترك لمن يتناوله بعده فيه مقالا بقوله»[31] أو يخرج المعنى في أحسن الصور الموضحة له ويوصله إلى فهم المخاطَب بأقرب الطرق وأسهلها[32] أو يستخدم بعض الصور الفنية ومثل ذلك إخراج الأغمض إلى الأظهر بالتشبيه كقوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ**﴾ سورة النور الآية 39 فهذا إخراج ما لا تقع عليه الحاسة إلى ما تقع عليه الحاسة ... ومنها ما لا يعلم بالبديهة إلى ما يعلم بالبديهة كقوله: ﴿**وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ**﴾ سورة آل عمران الآية 133 وغيرها من الخصائص التي بها يكون المعنى تاما مستوفيا جميع أقسامه، ويكون اللفظ واضحا مبينا عن معناه أحسن بيان كقوله عز وجل: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنْ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**﴾ سورة النحل الآية 90 فلفظ هذه الآية لا يتوقف في فهم معناه من سمعه، إن سلم من التعقيد لفظه فقد دل على معناه دلالة واضحة بأقرب الطرق وأسهلها، واحتوى في فهمه الذكي والبليد والقريب من الصناعة والبعيد[33].

وإما عبر عن معانيه تعبيرا باطنيا لا يفهمه إلا الخاصة من أهل العلم الذين لهم «عناية بتدبر القرآن، ونظر ثاقب في نقد جواهر الكلام»[34]، لذلك واجب على القارئ ـ العالم من أهل الاختصاص . أن يتروى في كل آيات القرآن لفظا ومعنى وتركيبا وإيحاء، لاستخلاص معانيه ودلالاته محاولا الوصول إلى القصد الإلهي، على اعتبار أن القرآن لم يكن «رؤية أو قراءة جديدة للإنسان والعالم وحسب، وإنما كان أيضا كتابة جديدة وكما أنه يمثل قطيعة مع الجاهلية على مستوى المعرفة، فإنه يمثل أيضا قطيعة معها على مستوى الشكل التعبيري، هكذا كان النص القرآني تحولا جذريا وشاملا: وفيه تأسست النقلة من الشفوية إلى الكتابة ومن ثقافة البديهة والارتجال إلى ثقافة الرؤية والتأمل»[35]؛ مما يعني أن قراءة الخطاب القرآني، لاستنباط أحكامه الشرعية أو تبيان إعجازه وفهمه وتأويله، تفرض على المتلقي القارئ أن يكون «ذا ذوق سليم وذهن مستقيم ونظر صحيح»[36]، وأن يتدبر النصوص بتدقيق الفكر وراجح العقل وإنعام النظر، وأن يحصّل مواد النظر وأن تكون له دربة بهذه الصناعة[37]؛ لأن «التأويل اليقيني لا يمكن أن ينجزه أي كان من الناس، إذ القيام به يحتاج إلى مران ومراس طويلين»[38] إضافة إلى ذلك يجب على القارئ أن يكون عارفا بأسباب النزول، وهذه الفكرة وإن كانت ضمنية، فإنها تبدو واضحة في تحصيل المواد وأيضا في الاستعانة بها في تفسير بعض الآيات[39]؛ ذلك أن «معرفة أسباب النزول ليست مجرد ولع برصد الحقائق

التاريخية التي أحاطت بتشكل النص، بل تستهدف هذه المعرفة فهم النص واستخراج دلالته»[40].

ولما كان القرآن الكريم خطاب فيه المحكم والمتشابه كان لابد من الاستعانة بالتأويل لحل كثير من الإشكالات من ذلك مثلا قوله تعالى: ﴿**قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**﴾ سورة الأنعام الآية 151 فإن ظاهر الكلام يدل على تحريم نفي الشرك وملزومه تحليل الشرك، وهذا خلاف المعنى المراد والتأويل الذي يحل هذا الإشكال أن الله سبحانه وتعالى قال لنبيه . صلى الله عليه وسلم .: قل لهؤلاء تعالوا أتلوا ما حرم ربكم عليكم، فلما اجتمعوا إليه قال لهم: وصاكم ربكم ألا تشركوا به شيئا، وبالوالدين إحسانا، ثم ساق سبحانه بقية الوصايا، فكأنه . والله أعلم . دعاهم إلى الاجتماع فلما اجتمعوا ذكر لهم الوصايا، ويشهد لصحة هذا التأويل قوله تعالى بعد الفراغ من هذه الوصايا: ﴿**ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ**﴾[41].

وقد اتسع العلماء في تأويل فواتح السور الفرقانية المعجمة اتساعا كبيرا على مقدار عقولهم، ولم يترجح من جميع ذلك إلا أنها أسماء للسور، أقسم الله سبحانه وتعالى بها؛ لأنه «لو أعطي العبد بكل حرف من القرآن ألف فهم لم يبلغ نهاية ما أودعه الله في آية من كتابه، لأنه كلام الله وكلامه صفته، وكما أنه ليس لله نهاية فكذلك لا نهاية لفهم كلامه، وإنما يفهم كل بمقدار ما يفتح عليه».[42] كما يرى ذلك سهل بن عبد الله التستري، لكن ما هي حدود القارئ . العالم . في الكشف عن معاني الخطاب القرآني الخفية والعويصة؟

يقف القارئ على النص القرآني وهو مؤمن بقدسية الكلام الإلهي التي تفرض عليه أن يتعامل معه بحذر كبير، وهو ملزم بأن لا يقرب آيات منه خصّ الله نفسه بها، وملزم أيضا بعدم تحميله ما لا يحتمل من المعاني، وإن كانت دلالات النص تفرض بدورها عليه أن يتمعن فيها ويسعى إلى تأويلها، ذلك أن «تكثيف الدلالة الذي يتجسد مقوما رئيسيا في النص الكريم، يؤكد مبدأ التأويل الذي هو بالإضافة إلى أنه نتاج استغلال الطاقة الإيحائية في اللغة عموما، يتبدى أسا عميقا في أسلوب القرآن الكريم القائم على استغلال هذه الطاقة ومرسخا مبدأ إعمال الذهن في معانقة الدلالة العميقة التي تعمق مبدأ التفاوت بين المتلقين في فهم فحوى الخطاب»[43].

ولئن استند الدارسون إلى عصارة الجهود الفكرية للمفسرين والبلاغيين في مجالي الإبداع والنقد وتبنيهم كثيرا من الآراء النقدية والقضايا التي استساغوها عند مناقشة أفكار بعضهم البعض فإن هذا لم يحجب ما قدموا من جهد في إعادة قراءة بعض الأفكار وفق مقاييس خاصة بهم، وهي قراءات ذات تصور نابع من داخل النص أسهمت في وضع بعض الأسس لصناعة الكلام، وكانت عونا للمبدع على إنشاء كلامه حتى يستوفي شروط التوصيل، إذ جعلوا من فنيات الخطاب القرآني خاصية أخرى من خاصيات القرآنية، وكانت مقاربتهم لها ترتكز أساسا على التحدي، والخروج عن المألوف، والنظم القرآني، والفصاحة... وكلها تجتمع لتكمل بعضها بعضا من دون إقصاء لإحداها لما لها من أهمية في إبراز مدى اكتمال القرآن الكريم وتمامه ومن ثمة إعجازه.

وقد طرحوا مسألة النظم على بساط البحث فلم يتمكنوا من تغليب جانب فني على آخر؛ إذ رأوا أن قرآنية القرآن قد تجسدت في ذلك النظم العجيب، والأسلوب الغريب المعبّر به عن الأخبار الماضية والقصص المتقدمة، وأكّدوا أن الإعجاز لم يكن بتحدي العرب بمعرفة هذه الأخبار والقصص، إذ يشاركه في ذلك أهل الكتاب وكل من شارك في طريق ذلك.[44] وتأسيسا عليه فهو مغاير لنصوص أهل الكتاب متفرد عنها، مباين للمألوف من

أنواع الفن القولي عند العرب، خارق للعادة المعروفة؛ مما يعني أن الخطاب القرآني بني على طرائق مخصوصة في النظم والتأليف، إذ «يعد سلطة فنية من حيث تساميه الأدبي المباين للمألوف من الأجناس الأدبية العربية»[45]، وقد لخص هذه الفكرة ابن أبي الأصبع في بديع القرآن في أبيات وصف فيها القرآن العزيز فقال: [46]

وآيتُهُ العُظمى بلاغةُ ما به
أتى من كتاب فضله ليس يجحدُ
تفرّد في عصر البيان بيانه
بأسلوبه إذ نظمه متفرد
وفي نظمه بعد الغرابة معجز
محاسنه لم تنحصر فتعدد

ومن ثمة فالإعجاز عندهم كامن في النص القرآني ذاته، بما هو نظم متفرد، وأسلوب غريب، جاء الكلام فيه متحدرا كتحدر الماء المنسجم سهولة سبك، وعذوبة ألفاظ، وسلامة تأليف، مع حسن الترتيب في النظم، إما بالارتقاء من الأدنى إلى الأعلى، أو بتقديم ما يجب تقديمه وتأخير ما يجب تأخيره، أو مع حسن النسق، فيأتي الكلام متلاحما آخذة أعناق بعضه بأعناق بعض[47].

وقد يأتي النظم موصوفا بحسن الجوار؛ فتكون ألفاظ المعنى المراد يلائم بعضها بعضا ليس فيها لفظة نافرة عن أخواتها، غير لائقة بمكانها كلّها موصوف بحسن الجوار في الغرابة والاستعمال، وبذلك يكون الكلام أفصح وأبلغ واخف وأسهل أو المعنى به أتم وأكمل، أو مع حسن البيان، وذلك عن طريق إخراج المعنى في أحسن الصور الموضحة له، وإيصاله إلى فهم المخاطب بأقرب الطرق وأسهلها، وقد تأتي العبارة من طريق الإيجاز، وقد تأتي من طريق الإطناب[48]، وهذا يعني أن فهم الخطاب القرآني مرهون أساسا بمدى تماسكه وانسجامه ممّا يمكّنه من تحقيق دلالته.

وكثيرة هي الشواهد التي نجدها في القرآن الكريم فقط، وتحمل هذه الخصائص مجتمعة كقوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنْ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**﴾ سورة النحل الآية 90، وفي أثناء مقاربتهم هذه الآية مثلا يذهب المفسرون إلى أن الله عزّ وجلّ أمر في أول الآية بكل معروف، ونهى بعد ذلك عن كل منكر، وختم الآية بأبلغ موعظة وذكّر في فاصلتها ألطف تذكرة بالألفاظ اتفق فيها ضروب من المحاسن مع كونها ألفاظا الحقيقة، فمن محاسنها صحة التقسيم؛ لأنه سبحانه استوعب جميع أجناس المعروف والمنكر، والطباق اللفظي، وحسن النسق، والتسهيم وحسن البيان، وائتلاف اللفظ مع المعنى، والمساواة، وصحة المقابلة وتمكين الفاصلة والإيجاز، فأما استيعاب الأقسام فإنه سبحانه أمر بالعدل وهو معاملة المكلف نفسه وغيره بالإنصاف، ثم أمر بالعدل بعد الإحسان، وهو اسم عام يدخل تحته التفصيل بعد العدل، وقدّم ذكر العدل؛ لأنه واجب تلاه بالإحسان لأنه مندوب، ليقع نظم الكلام على أحسن ترتيب، وخص ذا القربى بالذكر بعد دخوله في عموم من أمر بمعاملته بالعدل والإحسان لبيان فضل ذي القربى، وفضل الثواب عليه، ونهى عن الفحشاء والمنكر والبغي بصيغة تعريف الجنس، ليستغرق كل ما يجب أن ينهى عنه كما استغرق كل ما يجب أن يؤمر به. والمطابقة اللفظية في قوله تعالى: "يأمر" و"ينهى" والمقابلة في قوله سبحانه: ﴿**بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى**﴾ وقابل ذلك بقوله: ﴿**الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ**﴾ فقابل ثلاثة بثلاثة، والآخر مخالفة الأول وحسن النسق في ترتيب عطف الجمل بعضها على بعض كما ينبغي، حيث قدم العدل، وعطف عليه الإحسان، لكون الإحسان ما زاد على الواجب، والعدل الواجب، وعطف إيتاء ذي القربى على الإحسان، كون الإحسان اسما عاما، وإيتاء ذي القربى خاص، فكأنه نوع من ذلك الجنس، ثم أتى بجملة الأمر مقدمة، وعطف عليها جملة النهي، ثم رتب جمل المأمورات والمنهيات بحيث لم يتقدم ما يجب تأخيره، ولا يتأخر ما يجب تقديمه، فأتى حسن الترتيب مقترنا بحسن النسق،

وأما التسهيم فلأن صدر الكلام يدل على عجزه، كدلالة صدر البيت المسهَّم على عجزه، وأما حسن البيان فلأن لفظ الآية لا يتوقف في فهم معناه من سمعه، إذ سلم من التعقيد في لفظه فقد دل على معناه دلالة وواضحة بأقرب الطرق وأسهلها، واحتوى في فهمه الذكي والبليد، والقريب من الصناعة والبعيد، وأما الائتلاف فلأن كل لفظة لا يصلح مكانها غيرها، وأما المساواة فلأن ألفاظ الكلام قوالب لمعانيه لا تفضل عنها ولا يقصّر دونها، وأما تمكين الفاصلة فلأن مقطع الآية مستقر في قراره، معناه متعلق بما قبله إلى أول الكلام لأنه لا تحسن الموعظة إلا بعد التكليف ببيان الأمر والنهي ومخالفتهما، والتذكرة بعد الموعظة، أما الإيجاز فهو دلالة الألفاظ القليلة على المعاني الكثيرة بألفاظ الحقيقة الصريحة لا بلفظ الإشارة، ولا الإرداف، ولا التمثيل، ولا ضرب من ضروب الحذف والتغيير [49].

كما جعلوا الفصاحة أسّا متينا لتأكيد إعجاز القرآن، ورأوا أن الإعجاز في القرآن بالفصاحة بدءا من اللفظة وصولا إلى الخطاب ككل؛ كأن يأتي «المتكلم في كلامه بلفظة تتنزل منزلة الفريدة من حب العقد؛ وهي الجوهرة التي لا نظير لها تدل على عظم فصاحته، وقوة عارضته وجزالة منطقه وأصالة عربيته بحيث تكون هذه اللفظة إذا سقطت من الكلام عزّت على الفصحاء غرامتها، فقد جاء من ذلك في الكتاب العزيز غرائب لا يقع مثلها لمخلوق... كقوله تعالى: ﴿**يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ**﴾ سورة غافر الآية 19، فإن لفظة "خائنة" بمفردها سهلة مستعملة، كثيرة الجريان على الألسن فلما أضيفت إلى الأعين حصل لها من غرابة التركيب ما جعل لها في النفوس هذا الوقع، بحيث لا يستطاع الإتيان بمثلها»[50]؛ إذا فالدارسون ينكرون أن توسم اللفظة المفردة بالتفرد أو أن تكون لها قيمة ما لم تدرج في سياق مخصوص أو في بنية مركبة جديدة تمنحها خصوصيتها، وهي خصوصية ناتجة عن تفاعلها مع غيرها من العناصر المكونة للخطاب القرآني آية كان أم سورة، أيضا فإن قيمة هذه اللفظة المفردة تظهر فيما تحدثه من وقع في النفوس، وهو ناتج كذلك عن مجموع المعايير الجمالية المشحون بها. فمن الدارسين مثلا من يوازن بين بيت البحتري الذي يقول فيه:

كالقسي المعطفات بل الأسـ

هم مبرية بل الأوتار

وبين قوله تعالى: ﴿**أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ**﴾ سورة البقرة الآية 266، ليبينوا مقدار ما في نظم القرآن من البلاغة، ويثبتوا أن الإعجاز فيه بالفصاحة، ومن خلال دراستهم استشفوا أن هذا البيت جمع التشبيه والتتميم في موضعين، وحسن النسق، والتهذيب والإيغال... وهذا أفضل بيت وقع فيه الاستقصاء المولد، وما بلغ هذا المبلغ في الجودة إلا أنه أشرقت عليه أنوار كلام النبوة الذي أخذ معناه بلفظه مصالتة منه، وهو قول رسول الله . صلى الله عليه و سلم . "لو صليتم لله حتى تعودوا كالقسي، وصمتم حتى تعودوا كالأوتار" وقال في الأول: كالحنايا أو كما قال عليه الصلاة والسلام"، وإذا نظرنا إلى قوله تعالى وجدنا أن الإعجاز فيه بالفصاحة، وذلك أنه سبحانه بعد قوله "جنة" التي لو اقتصر على ذكرها لكان كافيا، فلم يقف عند ذلك حتى قال في تفسيرها ﴿مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ﴾ إذ لفظة الجنة تطلق على أي شجر كان، ساتر بظل ورقه الأرض، فإذا قال ﴿مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ﴾ كان مصاب ربها أعظم، ثم لم يقف عند ذلك حتى قال سبحانه: ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ متمما لوصفها بذلك، ثم كمل وصفها بعد التتميم بأن قال عز وجل ﴿لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ وذلك لما علم الله . سبحانه وهو أعلم . أن الاقتصار على وصفها بالنخيل والأعناب لا يكون به وصفها كاملا، فأتى بكل ما يكون في الجنان ليشتد السف على إفسادها، ثم قال في وصف صاحب الجنة... ﴿وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ﴾ ثم استقصى المعنى في ذلك بما يوجب تعظيم

المصاب بقوله بعد وصفه بالكبر ﴿وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ﴾، ولم يقف عند ذلك حتى وصف الذرية بالضعف، ثم ذكر استئصال تلك الجنة التي ليس لهذا الذي أصابه الكبر، وليس لذرته الضعفاء غيرها بالهلاك في أسرع وقت حيث قال: ﴿فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ﴾ ولم يقتصر على ذكر الإعصار للعلم بأنه لا تحصل به سرعة الهلاك، فقال: ﴿فِيهِ نَارٌ﴾، ثم لم يقف عند ذلك حتى أخبر سبحانه باحتراقها، لاحتمال أن تكون النار ضعيفة لا تفي باحتراقها لما فيها من النهار، ورطوبة الأشجار، فاحترس عن هذا الاحتمال بقوله: ﴿فَاحْتَرَقَتْ﴾ وهذا أحسن استقصاء وقع في كلامه وأتمه وأكمله[51]، إذا فالفصاحة عندهم نظم الكلام عن طريق استقصاء المعنى بتناول جميع لوازمه وعوارضه وأوصافه وأسبابه، حتى يستوعب جميع ما تقع الخواطر عليه فيه فلا يبقى لأخذه مساغ ولا لاستحقاقه مجال. وقد تكون الفصاحة في الزيادة التي تفيد اللفظ فصاحة وحسنا والمعنى توكيدا، مثال ذلك قوله تعالى: ﴿**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنْ اللَّهِ لِنْتَ...**﴾ سورة آل عمران الآية 159 فإن كل ذي ذوق سليم وذهن مستقيم ونظر صحيح يفرق ما بين هذا اللفظ بهذه الزيادة وبينه عريا منها، فإنه لو قيل: (فبرحمة من الله لنت لهم) لم تجد لها من الوقع في النفوس ما لقوله: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنْ اللَّه﴾ ويشهد الطبع الجيد المعتدل بأنها بالزيادة أفصح، وأن الزيادة أفادتها هذه الجزالة والطلاوة، مع كونها جاءت مؤكدة للمعنى[52]، كما تكون الفصاحة في ارتباط الكلام وانسجامه؛ «لأن الكلام الفصيح يجب أن يرتبط بعضه ببعض، ومتى تبدد نظمه كان ذلك عيبا عظيما».[53]

وبناء عليه فإن قيمة الخطاب القرآني تبدو جلية في فصاحته، وطرق صياغته، وتشكيله لمجموع العناصر التي تكوّنه بطريقة تثير المتلقي وتسيطر عليه، مما يعني أن القرآن الكريم أوجد لنفسه نمطا خاصا به لتأسيس قرآنيته.

ويمثل النظم بالنسبة إلى أهل التخصص سبيلا للوصول إلى فكرة الطبقات؛ لكونها سرا من أسرار قرآنية القرآن؛ إذ استقر لدى الدارسين أن نظم القرآن العزيز «جمع طبقات البلاغة الثلاث، ليظهر فضل كل طبقة في بابها وتبين محكم أسبابها، ويعلم أن أدناها بالنسبة إليها يعلو على أعلى الطبقات من كلام البغاء ويربى عليها»[54]، وهي الفكرة نفسها التي أشار إليها بعض الدارسين منهم الرماني والخطابي في رسالتيهما[55].

والحق أن البلاغيين والنقاد لم يكتفوا بالإشارة إلى هذا التصنيف، وإنّما قدّموا العلة من هذا التصنيف قائلا: «فإن الكلام إذا كان منوعا افتنت الأسماع فيه، ولم يلحق النفوس ملل من ألفاظه ومعانيه»[56]، ولعل في هذا القول إشارة إلى تنوع طرق التعبير البلاغية التي نجدها في القرآن الكريم بحسب المواقف؛ فأسلوب الترهيب والوعيد والتهويل يختلف عن أسلوب الوعد والترغيب والتبشير.

وتزداد هذه الفكرة اتساعا عندما يؤكّد أن إيصال المعنى إلى المخاطَب بأقرب الطرق وأسهلها هو البلاغة عينها، كاستعمال الإيجاز طورا والإطناب طورا آخرا بحسب المقام وما تقتضيه الأحوال يقول: «وبيان الكتاب العزيز وكل كلام بليغ فصيح من الأحسن دون الأقبح ودون الوسائط، لكن الأحسن أيضا تتفاوت طبقاته كالوسائط، فمنه الأعلى والأدنى والأوسط بالنسبة، وحقيقة حسن البيان إخراج المعنى المراد في أحسن الصور الموضحة له، وإيصاله لفهم المخاطَب بأقرب الطرق وأسهلها؛ لأنه عين البلاغة، وقد تكون العبارة عنه تارة من طريق الإيجاز وطورا من طريق الإطناب بحسب ما تقتضيه الحال، والإطناب بلاغة والإسهاب عي؛ لأن الإطناب كثرة العبارة بسبب كثرة المعاني، والإسهاب كثرة العبارة عن المعنى الواحد، والمعاني القليلة والأول بعينه هو حد البلاغة وحقيقتها، وبه جاء كل بيان القرآن»[57]، وبذلك يكون الدارسون قد أثبتوا أن مثل هذه الخصوصيات التي نجدها في طبقات البلاغة الثلاث ما كانت لتبرز مجتمعة إلا في القرآن الكريم الذي هو من منظورهم أهم مصدر يمكن من خلاله تناول كل طرائق التعابير البلاغية المميزة له، خصوصا وأن كلّ آية من آياته تحتفي

بثلة من الأسرار الإعجازية التي تؤكّد عجز البشر عن الإتيان بمثله، لذلك فهو نموذج نفسه فاق كل الخطابات البشرية من حيث سلامة نظمه العجيب، وسلاسة أسلوبه الغريب، وبديع تركيبه، وبلاغة معانيه، وفصاحة ألفاظه، ووحدته وتكامله واكتماله.. وبصفة مجملة تفرّده الناتج عن لغته وفنياته الخارقة للمألوف من الكلام.

إنّه يمكن القول، إنّ إعجاز القرآن لا يرتد إلى مستوياته اللفظية أو التركيبية أو الدلالية؛ أي إلى نظمه البديع، أو تأليفه العجيب، أو إلى أسلوبه الباهر، أو بيانه الناصع، أو إلى صحة معانيه، واستمرارها وموافقتها لطريقة العقل، أو توالي فصاحة ألفاظه، أو إلى ما فيه من الإخبار عن الغيوب وأمور المستقبل أو عن قصص الأولين، أو إلى جلاله وبروزه بشكل خارج عن العادة، مغاير لكل الأجناس الأدبية المعهودة والمبتكرة الجديدة، أو إلى روحانيته التي لم تعرف في كلام العرب كلهم . فنيا كان أم عاديا . قط، وكذلك «من حيث صرفت هممهم عن المعارضة وإن كانوا قادرين متمكنين»،[58] وكذلك أنّه جعل «متلوا لا يمل على طول التلاوة، ومسموعا لا تمجه الآذان، وغضا لا يخلق على كثرة الرد، وعجيبا لا تنقضي عجائبه ومفيدا لا تنقطع فوائده»،[59] أقول إنّ إعجاز القرآن لا يرتد إلى هذه الأسرار فحسب، وإن لم تبلغ الأسرار التي توصل إليها كل دارسي الإعجاز منذ نزول القرآن عشيره، وإنما يرتد أيضا إلى سحر التواصل الجميل الذي يتدفق على المبلَّغ . مهما كان نوعه . تباعا، كلما أراد أن يتواصل، أن يتحرر من الباطل، ويتخلص من المحرم ومن المحظور والمنكر، ليلتحم مع الحق، ويتمثل الحلال والمباح، ويأمر بالمعروف، مستمدا تشكيلة تواصله وتنوعها من أجواء متباينة وبيئات مختلفة.

والحق أن أجمل ما في التواصل، ذلك التعالق السامي بين طرفين متباينين تماما؛ بين إله قدير ليس كمثله شيء، وعبد ذليل، مما يؤكّد أن التواصل ليس جزءا من الإعجاز فقط، وإنما هو كذلك خصيصة نوعية متميزة لصيقة بالقرآن ماثلة فيه.

إنّ المتمعن في بعض أسرار القرآن الكريم، يجد أن هذه الخصيصة تجتمع في كل آية وسورة، لتخلق شبكة تواصلية من عناصر الكلام المتشاكلة المتواشجة، التي تمنح القرآن إعجازه. ولقد «كان مع إعجازه ميسرا للذكر، حتى يسهل تبليغ الرسالة على النبوة الخاتمة والصحابة . رضي الله عنهم .، وعلى الدعاة على مر العصور، وحتى يسهل على الناس وعي الرسالة وفهمها وتدبرها على مر العصور كذلك»،[60] وهكذا فقد ظل القرآن قادرا على شد أواصر التواصل بقلوب خلق الله كافة، زمانا ومكانا، هذه القلوب التي بها يبصرون، ويعقلون، ويفقهون فيحيون.

هوامش البحث:

[1] - الجاحظ: رسائل الجاحظ، تحق/ عبد السلام هارون، دار الجيل ـ بيروت ـ (د. ت) ج 1 ص 279

[2] - صلاح الدين عبد التواب: الصورة الأدبية في القرآن الكريم ـ الشركة المصرية العالمية للنشر ـ لونجمان ـ ط 1 1995 ص 220

[3] - ينظر السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر): الإتقان في علوم القرآن، ضبط وتصحيح وتخريج الآيات، محمد سالم هاشم ـ دار الكتب العلمية ـ طبعة جديدة كاملة بيروت ط 1، 2004 ص 484

[4] - محمود شاكر: فصل في إعجاز القرآن في تقديم لكتاب الظامرة القرآنية لمالك بن نبي.

[5] - ينظر ابن أبي الإصبع: بديع القرآن ـ تحق / حفني محمد شرف، دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة، القامرة، ط 2، 1972 ص ص 328 ـ 329

[6] - سليمان عشراتي: الخطاب القرآني: مقاربة توصيفية لجمالية السرد الإعجازي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1998 ص 5

[7] - عبد القامر الجرجاني: دلائل الإعجاز، قراءة وتعليق محمود محمد شاكر ـ دار المدني ـ جدة، مطبعة المدني القامرة ط 3، 1992 ص 39

[8] - ينظر أدونيس: زمن الشعر ـ دار العودة ـ بيروت ط 1 1972 ص 33

[9] - ديوان امرئ القيس، تحق/ محمد أبو الفضل إبراميم، دار المعارف ـ مصر ـ ط 4، ص 114

[10] - ديوان كعب بن زمير، شرح وتقديم محمد يوسف نجم، دار صادر ـ بيروت ـ ط 2 ـ 2002 ص 31

[11] - ديوان أبي العتامية، قدم له وضبطه وشرحه، صلاح الدين الهواري، دار ومكتبة الهلال ـ بيروت ـ ط 1، 2004 ص 420

[12] - ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، تصحيح وشرح، محمد عزت نصر اللهـ منشورات دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ (د.ت) ص 59

[13] - ديوان أبي نواس، دار صادر ـ بيروت ـ ط 1 ـ 2001 ص 205

[14] - ديوان أبي تمام، تحق/ محمد عبده عزام، دار المعارف ـ مصر ـ ط 5 المجلد 2 ص 117

[15] - أبو تمام (حبيب بن أوس الطائي): ديوان الحماسة، تحق/ عبد المنعم أحمد صالح ـ منشورات وزارة الثقافة والإعلام ـ العراق 1980 ص ص 520 ـ 521

[16] - ابن حجة الحموي (تقي الدين أبو بكر علي): خزانة الأدب وغاية الأرب، شرح عصام شعيتو، دار ومكتبة الهلال ـ بيروت ط 1، 1987 ص 504

[17] - ابن رشيق (أبو علي الحسن): العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحق/ محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل ـ بيروت ـ لبنان ط 5 ـ 1981 ـ ج 1 ص 204

[18] - الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر): البيان والتبيين، تحق/ عبد السلام هارون، دار الجيل ـ بيروت ـ 1948 ج1، ص 208

[19] - عبد القامر الجرجاني: الرسالة الشافية ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، للرماني والخطابي وعبد القامر الجرجاني، حققها وعلق عليها/ محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام ـ دار المعارف ـ مصر ـ ط 2، 1968 ص 138

[20] - الرافعي مصطفى صادق: تاريخ آداب العرب، دار الكتاب العربي، بيروت ـ لبنان 1974 ج 2 ص 195

[*] - العي: ضد البيان، البكئ: الذي لم يصب حاجته، الحصر: ضيق الصدر عن النطق، الخطل: الكلام الفاسد الكثير الفاسد، المسهب والمهمار: كثير الكلام، الهذر: الإفراط في الكلام، المتشدق: الذي يتوسع في الكلام من غير احتياط واحتراز، الهجر: تكلم بالهذيان... ينظر الجاحظ: البيان والتبيين ج1، ص 144

[21] - الباقلاني (أبو بكر محمد بن الطيب): إعجاز القرآن، تحق/ السيد أحمد صقر، دار المعارف ـ القامرة ـ ط 5، 1977 ص 394

[22] - ابن أبي الإصبع: بديع القرآن ص ص 22 ـ 23

[23] - ينظر المصدر نفسه ص ص 128 ـ 129

[24] - صلاح الدين عبد التواب: الصورة الأدبية في القرآن الكريم ص 230

[25] - إحسان عسكر: وظائف التبليغ القرآني ـ دار الاتحاد العربي ـ مصر ـ ط 1، 1992 ص 32

[26] - علي حرب: قراءة ما لم يقرأ ـ نقد القراءة ـ الفكر العربي المعاصر، ع 60/ 61، سنة 1989 ص 42

[27] - ابن أبي الإصبع: بديع القرآن ص 154

[28] - المصدر نفسه ص 74

[29] - المصدر نفسه ص 252

[30] - المصدر نفسه ص 259

[31] - المصدر نفسه ص 247

[32] - ينظر المصدر نفسه ص 204

[33] - ينظر المصدر نفسه ص 184

[34] - المصدر نفسه ص 4

[35] - أدونيس: الشعرية العربية، دار الآداب، بيروت ط 1، 1985 ص 35

[36] - المصدر السابق ص 305

[37] - ينظر المصدر نفسه ص 22 ـ 168 ـ 235

[38] - محمد مفتاح: رمان التأويل من "قضايا التلقي والتأويل" المملكة المغربية، جامعة محمد الخامس، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة ندوات ومناظرات، رقم 36 ـ 1995 ط 1، 1994 ص 25

[39] - ينظر المصدر السابق ص 113 ـ 119 ـ 206

[40] - نصر حامد أبو زيد: مفهوم النص ـ دراسة في علوم القرآن ـ المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت ط 2، 1994 ص 102.

[41] - ينظر المصدر السابق ص ص 133 ـ 134

[42] - الزركشي (بدر الدين محمد بن عبد الله): البرهان في علوم القرآن، تحق/ محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط 1، 1957 ج 1 ص 9

[43] - جمعي (الأخضر): ائتلاف اللفظ والمعنى في النقد العربي القديم ـ بيئات النقاد والمتكلمين والفلاسفة ـ رسالة دكتوراه دولة ـ جامعة الجزائر 1987 / 1988 ص 54

[44] - ينظر ابن أبي الإصبع: بديع القرآن ص ص 328 ـ 329

[45] - سليمان عشراتي: الخطاب القرآني ص 5

[46] - المصدر السابق ص 291

[47] - ينظر المصدر نفسه ص 74 ـ 158 ـ 166

[48] - ينظر المصدر نفسه ص 77 ـ 204

[49] - المصدر نفسه ص 183 ـ 184 ـ 185

[50] - المصدر نفسه ص ص 287 ـ 288

[51] - للاستزادة ينظر المصدر نفسه ص 46 ـ 47 ـ 48 ـ 248 ـ 249 ـ 250

[52] - ينظر المصدر نفسه ص 305

[53] - ينظر المصدر نفسه ص 134

[54] - ابن أبي الأصبع المصري: تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، تحق/ حفني محمد شرف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي ـ القامرة ـ ط 2، 1964 ص 415

[55] - ينظر الرماني (أبو الحسن علي بن عيسى): النكت في إعجاز القرآن ص 75 والخطابي (أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم): بيان إعجاز القرآن ص 26 ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن تحق/ محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر ط 2، 1968

[56] - المصدر السابق ص 415

[57] - المصدر نفسه ص 490 وينظر بديع القرآن ص ص 204 ـ 205

[58] - القاضي عبد الجبار (أبو الحسن الأسدآبادي): المغني في أبواب التوحيد والعدل، تحق/ أمين الخولي ـ دار الكتب ـ الجمهورية العربية المتحدة ـ ط 1، 1960 ج 16 ص 318

[59] - ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم): تأويل مشكل القرآن، تحق/ السيد أحمد صقر ـ دار إحياء الكتب العربية ـ ط 1، 1954 ص 3

[60] - عدنان علي رضا النحوي: الأسلوب والأسلوبية بين العلمانية والأدب الملتزم بالإسلام ـ دار النحوي ـ الرياض ـ المملكة العربية السعودية ط 1، 1999 ص 278